موضوعات شتى

اللغة العربية

في دواوين الحكومة

— ٢ —

٢٦ — ويستعملون « اسند » بمعنى أبدى أو أثبت فيقولون « اسند المدعى دعواه بشواهد » وهذا خطأ .

٢٧ — ويذكرون السن فيقولون « بلغ السن الذي يكون فيه قادراً على تمييز أفعاله » وفي مؤنثة سواء أريد بها العمر أو أريد احدى اسنان الفم .

٢٨ — ويقولون « حكمت عليه المحكمة بسبع سنوات حبساً » والصواب « انه يعاقب بالسجن سبع سنوات » .

٢٩ — ويقولون « ابتدئ الجلسة في الساعة التاسعة ونصف او التاسعة والنصف » والصواب ان يقال « في منتصف الساعة العاشرة » او « في الساعة التاسعة والدقيقة الثلاثين » اذ ان لا وجه لعطف نصف على الساعة التاسعة .

٣٠ — ويجمعون « وفاة » على (وفيات) بتشديد الياء والصواب ان يقال (وفيات) بتخفيف الياء .

٣١ — ومن اقبح الاغلاط قولهم (توفي فلان) بمعنى المتوفى يريدون قبضت روحه ومات . والصواب (توفي فلان) على المجهول والله المتوفي العبد المتوفى . قيل : ✓ بمعنى حازة فقال من المتوفي يريد الميت قيل له الله تعالى يراد به القابض الروح .

٣٢ — ويقولون (شطب الكلمة) اي ضرب عليها خطأ علامة لالغائها وهو من اصطلاح العامة لان شطب لا تتضمن هذا المعنى فقط والصواب ان يقال (رمج

الكاتب ما كتبه) اي افسد سطوره .

٣٣ — ويقولون اصحني برسالة الى رئيس المحكمة والصواب اصحبني رسالة لان اصحب من الافعال التي تنصب مفعولين .

٣٤ — ويستعملون الصحيفة بمعنى الصفحة مع ان معنى صحيفة الورقة المكتوبة وجهها والصفحة هي من كل شيء وجهه وجانبه .

٣٥ — ويقولون (امرت الحكومة بمصادرة اموال فلان) اي اخذت وحجزت والمصادرة في كتب اللغة المطالبة والالحاح ومصادره على كذا طالبه به وصادره بمائة دينار اي طالبه بها ملحاً والما يقال (استصفت الحكومة امواله) اي اخذتها كلها

٣٦ — ويقولون (اجرني الدار) وهو خطأ صوابه (آجرني الدار)

٣٧ — ويقولون (اشار المحامي في كلامه اثناء المحاكمة الى كذا) والصواب ان يقال (في اثناء المحاكمة الان اثناء ليست بظرف حتى تنصب على الظرفية ولا مضافة الى ما تكتسب منه الظرفية ليستغنى بها عن حرف الجر (في) بل هي جمع ثني واثناء الشيء تضاعيفه تقول اتقنت كذا ثني كتابي اي في طيه واثناء الكلام اوساطه .

٣٨ — ويقولون (صادقت الحكومة على تعيين فلان واصادق على هذا التبليغ) وهو من كلام المولدين وصادقه مصادقة وصداقاً كان صديقاً له . والصواب ان يقال (اجاز الشيء او امضاه او اقره او وافق عليه)

٣٩ — ويقولون (صرح له بالمحاماة) اي اذن واجاز وهو خطأ لأن معنى صرح بين وأوضح .

٤٠ — ويقولون « حكمت عليه المحكمة بالاعدام » فلو قيل « حكمت عليه المحكمة بالموت » لكان ادل على المعنى المراد لان للاعدام معان كثيرة اقربها من هذا المعنى فولهم اعدم الله تعالى فلانا الشيء جعله يعدمه اي افقده اياه والحكم بالاعدام على نأو بل الحكم عليه بان يعدم حياته وفي هذا التعبير من التعسف والتكلف ما لا

يخفى على اللبيب

٤١ — ويقولون (اعتدوا على بعضهم البعض) و (تقاسموا الشيء بين بعضهم البعض) و (ظلموا بعضهم البعض) والصواب اعتدوا بعضهم على بعض وتقاسموا الشيء بينهم وظلموا بعضهم بعضاً

٤٢ — ويقولون (استقال من وظيفته وهو خطأ لان استقال من الافعال التي تتعدى بنفسها الى مفعولين والصواب ان يقال (استقال وظيفته الخدمة) اي طلب ان يقيله اياها مأخوذاً من استقال فلاناً البيع طلب اليه ان يقيله اي ان يفسخه .

٤٣ — ومثله قولهم (ودع مالاً عند فلان) اي بتركه عنده وديعة وهي لغة عامية والصحيح (اودع فلانا مالاً)

٤٤ — ومثله قولهم (كان الحكم في هذه الدعوى لصالح فلان) اي لمصلحته ومنفعته ولم يأت الصالح في شيء من الفقه لهذا المعنى وانما هو من كلام العامة فالصالح ضد الفاسد والقائم بما عليه من حقوق العباد وحقوق الله تعالى وهو صالح لكذا اي له اهلية القيام به والمصلحة ج مصالح ما يترتب عليه الفعل ويحث على الصلاح ومنه سمي ما يتعاطاه الانسان من الاعمال الصالحة على نفسه .

٤٥ — ويقولون (ارسل لكم الاوراق المرفقة كتابي هذا) على ان المرافقة لا تكون الا في السير وفعل الرفقة لا يتجاوز الفاعلة يقال رافقه وترافقا وارتفقا ولا يقال ارفقت فلاناً بفلان ولا رفقته به والصواب ان يقال (الاوراق المستصحبة كتابي هذا) او (اصحب كتابي هذه الاوراق)

٤٦ — ويقولون (احيطكم علماً بالأمر اي انهيه اليكم واعلمكم به فيجعلون هذا الفعل متعدياً وهو لا يكون الا لازماً ويقال (احطت بالامر) لكي تحاطوا به علماً) (واحاط به علماً) (واحاط به علمه) اي بلغ اقصاه وادركه بكماله وهي خطاب من الصغير الى الكبير . القدس « اسكندر الخوري البيتجالي »

كلمات مختارة

من كتاب آراء اناتول فرانس (١)

آراؤه في الحب كآرائه في سواه : تقوم على عادات سالفة تكاد تمحى ذكراها . مبنى دائرة الاخلاق تحد الاوامر والنواهي التي فقدت عنه حدودها ، والفروض والواجبات التي لا طائل تحتها ، والاباحات التي بلغت في القطاعة غاية لا غاية بعدها لكنها مرحلة محترمة لانها طريقة في اقدام تكشف ملتقاها الاسرار : لا تنال بجدل ولا تتعرض بل الله لا تخالها الا تعرضت لاشد اللوم والتقريع . ان الاداب الطاهرة بعلامات الجنسين قائمة في هذا المعنى : متى اخذت المرأة اصبحت ملكاً للرجل كعواده وصلاحه . والان وقد دخل هذا الملك لا يزال سبباً لبعض الامور العارية عن المنطق كالزواج مثلاً : الزواج عقد بين امرأة ورجل يتضمن عهوداً لتحديد الملكية ادخلت منذ اعلن الرهن بطراً على المالك .

***

من الخطر ان يعمل رجل امرأة . والرجال القادرون على هذه المجزرة لامرأة في انهم لا يطالبون اصلاً . ولو طلبوا بالحب ليلة مصابين بالجنون الطبق فيجب ان يكونوا قليلي الدمة في دفعه والدعوة في ادائهم . واحسب انهم يطلبون ثقلاء قساة حتى في حين العبادة لان انفسهم لا تدرك الا الرموز الشفوفة الفتانة التي ما فقدت الاكبار وسمة الحب الذي اعتاد ان الخاه .

***

(١) تعريب الاستاذ عمر فاخوري

ثقل او بروز او وجود في ما شاكل. فقد يكون امرؤ مجرماً دون ان يكون مجنوناً او عليلاً . في الاجرام بدأت الانسانية حياتها . وكان الاجرام قبل التاريخ قاعدة لا مستثنى ولا يزال كذلك في عشيرة عديدة من الوحشيين . يمكن القول انه كان والفضيلة واحداً بالاصل وما يتعلق عنه في جاهلي زمن القرون الوسطى . كان الملك (مثلاً) يقتل كل يوم ثلاث نسوة او اربعاً من حريمه وامر ذات يوم بقتل احداهن لانها اهدته زهرة . ثم اتصل بنا الامكنة فالقى ذكره ادباً واستعداداً عجيباً لفهم افكار المتمدنين .

كتب لا غير بهذا كله وهذه الطبيعة انما تعمل الاجرام . يقتل الحيوانات بعضها بعضاً لافتراسها او بعامل الغيرة الحقة او غير ذلك . من الحيوان اذن مجرمون : ان سواد العمل عجيب . وكثيراً ما يعتبر الارانب صغاراً والذئاب يأكل بعضها بعضاً عمداً لا في الاحوال . لقد توعدت ادوار اوتاح التي تقتل عذراء لما . هذه جرائم افراد كانت المجتمعات التي ترتكبها غير مسئولة عنها فالطبيعة اخرى ان تتهم بها : ان الطبيعة خلطت الانسان والحيوان في حالات من الهوس لا تطاق .

ولكن ثمة ما هو اخبث من هذا الجرم المصور الذي يأتيه الانسان ليتجرد من تبرد الاجرام العتيقة . وما اعظم صرح الآداب الذي يشيده شعراً شعراً ! لقد نظم الشر العدل تدريجاً فاصبح الحق حلة انسانية . وان كان في العصور السالفة قاعدة عامة . اصبح داء من الادواء وشراً لا يمكن التوفيق بينه وبين الحياة كما عملها الانسان بعمل صوره وخياله . لا يشبه الاجرام الى مجموع الاقوى قرشاً واكله اكلاً . . كان الغني الاول لاهل الكهوف فاصبح اليوم سجان النساء الذين يطلبن العيش فيه . القتل عادة في الحيوان ولا سيما في الانسان . كان الرأي في الجنايات الاشارة الاولى انه عمل جبان وما زال في آدابنا وامثالنا اكثر من ذلك

الاجلال الماضي .

***

ينتج الخطأ عن ضعف في الخلق اكثر مما ينتج عن ضعف في الادراك .

***

ليقل (لافونتين) ماشاء . فان الارنب يسبق السلحفاة دائماً كما ان النبوغ يفوز على حسن الاراسة .

***

في اعمال البشر كلها احد عاملين : الجوع والحب . لقد علم الجوع المتوحشين ان يقتلوا وان يحرقوا اعمار الحروب والغارات اما الشعوب المتمدنة فهي ككلاب الصيد : توجهها غريزة فاسدة الى الهدم بلا سبب او جدوى . ويدعى جنون الحروب الحديثة مصلحة ملكية او مبدأ قوميات او توازناً اوروبياً او شرفاً . ولعل هذا العامل الاخير ابعدها عن المعقول ، اذ ما من امة الا احتملت كل المهانات التي قدر لجماعة من الناس ان تنزل باحشامها . وعلى كل ان كانت لاتزال عند الشعوب بقية شرف فاعجب الوسائل الى صيانتها اشعال نار الحرب اي ارتكاب كل الجرائم التي تعري الفرد من شرفه : الحرق والنهب والقتل وهتك الاعراض . اما الاعمال التي يوحي بها الحب فهي عنيفة جنونية فظيعة تقدر الاعمال التي يوحي بها الجوع حتى يحق القول ان الانسان وحش شرير .

***

لو كان الخطأ يظهر للناس جميعاً لما اخطأ احد . فان عن الحس العام تنشأ الاحكام الباطلة كلها : هو الذي يعلمنا ان الارض ثابتة وان الشمس تدور حولها وان الذين يقطنون الاقطار المتقابلة (انتيبود) يمشون ورؤسهم الى اسفل . حذراً من الحس العام ! فان اسمه ارتكبت كل الحماقات وكل الجرائم .

الارادة وهو النهي عن جهلنا الدائم الذي تكرهنا على ان نريد ليس ما نريد نحن «نحن» بل الظلمة من الجبريات الناشطة شاذة معذرة ، لا نعرفها ولا نعترف ولا يعرف بعضها بعضاً لكن بها نوعاً ما في تحديث تحركنا الدائم عارين لا نحصي مجياعاً الاهواء والافكار والآلام والمسرات والمخاوف والشهوات والارادة . نحسب انا اسياد نفسنا ، ولكن قطرة من الكحول تهيج هذه العناصر التي بها نحس ونريد ، ثم لا نلبث ان نفقدها .

***

لا تدوم الملك بحكمة بعض الوزراء وبراعة عقولهم الا بحماية الملايين من الناس الذين يحترفون اكسب معائشهم صروف الحرف الدنيئة كالصناعة والتجارة والزراعة والخدمة والملاحة . فان هذه الصفات هي التي تؤلف ما يدعونه عظمة الشعوب ؛ وليس فيها للامير ووزرائه ادنى نصيب .

***

الدولة كالجسد الانساني ؛ ليست كل وظائفها شريفة ، بل ان منها ما يجب اخفاؤه عن الانظار ؛ وقد تكون هذه الوظائف اهمها ولا غنى عنها .

***

لا يمكن ان يحكم الشعب الواحد في اثنين من اوساط الارض صورة واحدة لان الشعوب اجسام تتوقف وظائفها على تركيب اجزائها وحالة اقطارها ، اي على الارض وسكانها ، لا على الحكومات التي تخلع على الامم كالثياب المحكمة على جسم الافراد .

ليس النظام العام الا عدلاً ظالماً .

***

ان سياسة الاستعمار هي احدث مظاهر البربرية اذا نشأت في عهد المدنية

الاخير لا فرق بين هذين اللفظين لان مدلولهما واحد . وليس ما يسميه الناس مدنية الاعادات العصر الحاضر وآدابه ؛ وما يسمونه بربرية هي احوال العصور الغابرة . فالعادات الحاضرة سوف تدعى بربرية متى اصبحت عادات الماضي

لا مناص الان من الاقرار بان من عاداتنا وآدابنا ان تقضي الشعوب القوية على الشعوب الضعيفة . وهذا اصل في الشرائع الدولية واساس في السياسة الاستعمارية ولكن لننظر ! هل كان في الفتوح البعيدة منفع للامم ؟ لا ارى ذلك . ماذا افادت اسبانيا من امتلاك المكسيك والبيرو ؟ وماذا افادت البرتغال من البرازيل ؟ وماذا افادت هولاندة من جاوا ؟ ان المستعمرات على انواع . فمستعمرات تستقيل مساكين الاوربيين بارض تفر جدباء ؛ ترعى العهد وتظل على الولاء ما كانت فقيرة ؛ فاذا اثرت انفصلت عن قاعدة المملكة واستقلت بامورها . ومستعمرات لا تصلح للسكن ولكن تؤخذ منها مواد اولية وتحمل اليها سلع جاهزة ؛ فبديهي ان هذه لا تغني حاكميها بل المتاجرين فيها وهي ، الا نادر ، لا تساوي ما تكلفه ، ثم لا تلبث ان تعرض الحكومة المستعمرة لمكبات الحرية

***

لا تولد الوطنية بعدئذ الا في العقول المحدودة والقلوب الضيقة التي تضيق ذرعاً بفهم التضامن الانساني ، فلا تدرك ان مصير طائفة من الناس تتصل في هذه الدنيا بمصير الناس اجمعين .

***

وظيفة القاضي الجليلة هي ان يضمن لكل ما يخصه . للغني غناه وللفقير فقره

* * *

ان الاقيسة المنطقية تعلو امام الداهية ويمكن القول ان من المستطاع اثبات كل شيء جدلا ما لم يخص الله حق . اما اذا عرض لنا موضوع عويص فالدليل الاحق بعضه

يرقاب بعض لابدن الاعلى لياقة الفكر بشدة المعارضة .

...

ما الغرامة وعقوبة الاعدام ان لم تكن السرقة والقتل يرتكبهما المجتمع بدقة حسابية ؟ الا ترى ان قضاءنا في خيلائه وجبروته لا يؤدي الا الى مجازاة الشر بالشر والاساءة بالاساءة فيضاعف بحفظ التوازن والانتظام ، هذه الجنح والجرائم ؟

...

باي حق ينزل الآلهة الخالدون رجل الخير والصلاح الى دركات العذاب ؟ ان جزاء الخير هو في عمل الخير نفسه وليس في خارج الفضيلة ثمن جدير بها . فلتدع النفوس الحقيرة خوف العقاب وامل الثواب لتأييد شجاعتهم الدنيئة ، ولا نحسب في الفضيلة الا الفضيلة فيها .

...

اما القانون موضوع لحماية المجتمع فلا يمكن ان يكون اقرب الى معنى العدل من المجتمع نفسه . وما داء المجتمع قائما على الظلم فستظل القوانين عاملة على حماية الظلم وتأييده .

... ثم ان هذه القوانين على الاغلب خبيثة ، لا تمثل طلائع حاضرة بل طلائع عابرة ، واذا الخشن واشد قسوة ، في صروح مصر الدهر لا تزال قائمة في زمن ارق واحلم

...

كلتا (الحقيقة) و (العدل) يكفي ان لا تحددهما لتفهم معناهما الصحيح . في ان هاتين الكلمتين تجد ذاتيهما جمالا يغمر وفورا سماويا .

يجمل بنا ان نرد العقل البشري الى منذه الحقيقي اعني مقابلة الافراد المادية وان نجرده من زخرف الفلسفة الخلقية التي يتردى بها ، رياء باطلا وطامسة فاجرة .

...

لا انكر ان الحرية رأس الخيرات للامة . ولكن كلما تقدمت في السن ازددت يقيناً بانه لا يضمن الحرية للافراد الا حكومة قوية . اني تقلدت خلال اربعين سنة اعلى مناصب الدولة ، فعلمني الاختبار الطويل ان الشعب متى كانت حكومته ضعيفة ذل واضطهد . هذا فان اولئك الخطابيين الذين يحملون لاضعاف السلطان يرتكبون اشنع الجرائم . واذا كانت الملك المطلق يصرف ارادته احياناً الى وجوه الشر فان من المستحيلات تقرير امر من امور الدولة بناء على اتفاق المجموع . وقبل ان يغمر السلم الروماني العالم باسره لم تسعد الامم الا في عهد المستبدين الاذكياء .

***

كان الرئيس غريني موفور العقل فالغى عقوبة الاعدام بالفعل فلم تنفذ في عهده قط . ليت الذين حفوه اقتدوا به ! فان امان الافراد في المجتمع الحاضر لا يقوم على خوف العقاب . وبعد فقد نسخت شريعة القتل في ظهراني فريق من الامم الاوربية فلم تزد الجرائم فيها زادت على جرائم البلدان التي احتفظت بهذه الفعلة الشعواء . بل ان عقوبة الاعدام في هذه البلاد نفسها سائرة الى الاضمحلال ، لا حول لها ولا قوة ، كأنها اضاعت اصلها الذي تصدر عنه . ان مبدأي العدل والحق اللذين كانا في الماضي يسقطان رؤوس الخلق بابهة وجلال قد تزعزعت اليوم اركانهما بسطوة المبادىء الاخلاقية الجديدة التي نشأت عن تقدم العلوم الطبيعة . فأما ونحن نرى رأي العين عقوبة الموت تموت ، فمن الحكمة ان ندعها تموت .

***

نظرت ملياً في فلسفة القانون فعلمت ان العدل الاجتماعي بتمامه يقوم على قاعدتين : اولاهما ان السرقة محرمة ، وثانيتهما ان ثمرة السرقة مقدسة . هذان هما المبدآن اللذان يكفلان للافراد السلامة وللدولة الامن والنظام . فاذا جحد احدهما او اغفل انهار البناء كله .

وضع هذان البيتان في فخر التاريخ يوم تقدم الرئيس رجاله وهو مكتس جلد دب ، مسلح بفأس من الصوان ، متقلد خنجراً من نحاس ، فدخلوا السور حيث تركوا اولاد القبيلة مع قطعان النساء والوعول . عادوا يوقرون ابناء القبيلة الحجارة وبناتها ويحملون الحجارة الصالحة من السواد الشعبية لان منها تصنع السيوف التي لاتنثني لموقف الرئيس على مرتفع من الارض في وسط الحي وقال : غنمت هؤلاء العبيد وهذا الحديد من القوم الضعاف المثام ، فوح لي ومن مد الى عبدي وحديدي يداً اهويت على رأسه بهذا الفأس .

وهذا هو اصل القوانين . روحها عريق في القدم والبربرية . والعدل يطمئن كل الناس لانه يحمي كل المظالم .

***

ان الادلة على حرية الانسان قليلة جداً حتى اني لتأخذني الرجفة كلما فكرت في الاحكام التي يعاقب بها القضاء على اعمال يغيب عنا بدؤها وسياقها وسببها على السواء ، وليس للارادة فيها نصيب يذكر بل يأتيها المرء احياناً دون معرفة .

***

ماذا يجدي ان العدل في القوانين اذا لم يكن في القلوب ؟ واذا كانت القلوب موذية فهل يجدي ان العدل في القانون ؟ لا تقولوا : (لنا شرائع عادلة ونحن كل واحد حقه .) فلا رجل عادل واسألوا عما يدفع الناس : نحن نجهل على السواء ماهو حسن لهم وما هو سيء . وكل مرة احب فيها الامراء وروؤس الجمهورية العدل كانوا سبباً في هلاك كثير من الناس .

لا تعطوا المساح الشرير مقياساً و بركاراً لئلا يتحكم بالمقاييس العادلة فيأتي غير عادلة ، ثم يقول : (انظروا اني احمل المقياس والقاعدة والبركار فانا اذاً مساح جيد) مادام البشر قساة بخلاء فهم يشيعون القسوة والظلم في ارق الشرائع واعدلها ،

ويهبون اخوانهم بالفاظ الحب والعطف . هنا تكشفون لهم عن كلمة المحبة وشريعة الرقي .

لا تعارضوا شريعة بشريعة . ولا تصموا الواح الرخام والنحاس في وجه الانسان . فان ما كتب على الواح القانون مكتوب باحرف من الدماء .

...

من العسير على الاغنياء سواء في ذلك اليهود ام النصارى ان يكونوا منصفين . ولكن متى اصبحت الشرائع عادلة يصبح الناس عادلين . وهؤلاء الاشتراكيون والاحرار يهيئون للمستقبل منذ الآن بمحاربة الاستبداد وبث كراهة الحرب وحب النوع الانساني في ظهراني الشعوب . يمكننا اليوم ان نعمل قليلاً من الخير وهذا وحده ما يجعلنا اذا متنا نموت لا يائسين ولا غضاباً ، وان يكن من المؤكد اننا لن نشهد فوز آرائنا .

...

في الشعوب المتمدنة بربرية خاصة تزيد عما تجهله البرابرة احمقين . فان العلامة الجاني شر من شر المتوحشين ، ومحب الانسانية الحديث يخترع ضروباً من التعذيب لم تعرفها فارس والصين . كان جلاد الترس يميت السجناء جوعاً ، فوجب ان يأتي محب الانسانية ليتخيل قتلهم بالعزلة ، وهذا هو بعينه (الحبس المنفرد) الذي لا تناس بخطاته فظاعة قط لكن المبتلي به لحسن طالعه ، يضيع رشده فيخلصه الجنون من الشعور بالآلام .

ويتوسلون الى تبرير هذا المقت بزعمهم انه يجب ابعاد المحكوم عليه من آثار السوء التي يحدثها فيه امثاله ، وجعله في حالة لا يستطيع معها اقتراف الموبقات والجرائم . ان الذين يقولون هكذا هم حمقى الى حد لا يسعنا معه ان نقول انهم منافقون .

اناتول فرانس

حياته · مؤلفاته · آثاره الخطية

قد رأينا بمناسبة انتخابنا الكلمات التي
مرت من كتاب آراء اناتول فرانس ان
نقفيها بترجمة هذا الكاتب العبقري لنشر
هذه الكلمة في ترجمته عن اشهر المجلات
الفرنسية · (الحقوق)

يعتبر من على وفاة الكاتب الفرنسي الشهير اناتول فرانس أكثر من سنة، فقام المجمع العلمي الفرنسي في التاسع عشر من شهر تشرين الثاني المنصرم وقرر انتخاب ثلاثة اعضاء يحلون مكان الثلاثة الذين توفوا وهم : اناتول فرانس وموريس بريس والكونت دوسيفيل واستهل مقعد الاول المسيو ول ديورانت بأكثرية سبعة عشر صوتاً وانتخب المسيو لويس برتران مقعد الثاني والمسيو ديلاكروس مكان الثالث وقد آثرنا بهذه المناسبة ايراد نبذة صغيرة عن حياة اناتول فرانس ومؤلفاته وآثاره الخطية

اختلفت بدائون في شهر تشرين الاول سنة ١٩٢٤ اناتول فرانس بعد ان غاب عن الناس واقطع عن التأليف والدرس، غير انه لم يقطع عن مخالطة عشرائه والمعجبين بأدبه والتحدث اليهم بمؤلفاته الشهيرة والقاهم بأفكاره الخصبة بكل ما يحيط به · وقد دانت الناس وتهيأوا لاستقبال درر اقواله وتوجيه الاسئلة

اليه واكثر من ترديد اسمه الاستشهاد بكلماته المأثورة . قال اناتول فرانس جائزة نوبل للاداب منذ بضع سنوات وعلى اثر ذلك زار مدينة استوكهولم فنال حظوة كبيرة لديها لدى رجال العلم الذين استقبلوه في صدر المجالس . ولما بلغ من الثمانين اقترح عليه التكلم في حفلة تكريمية تقام له فرفض لانه كان يكره المظاهر الرسمية ولا يروق له ان يحتفي احد بشخصه .

ولد اناتول فرانسوا اسمه الحقيقي » سنة ١٨٤٤ في بيت قديم من باريز يقع في حي « كي ملاكي » فقضى ايام حداثته في التنقل والتجوال في القسم الواقع على ضفة السين حيث يكثر باعة الكتب وتجار المؤلفات القديمة . وكان يجتمع في مكتبة والده كل مساء افاضل الكتاب المعروفين وكبار المؤرخين الاعلام فيجلس ذلك الصبي الباقع بينهم ويستمع لاحاديثهم وينشد لمجادلاتهم فتعلق في ذهنه وبكثير معظمها ، وقد اخبرنا عن ذلك في مؤلفه المسمى « كتاب صديقي » . تدرب اناتول على الحياة الباريزية وتأدب في بيئة تلك العاصمة الكبيرة وقال عن نفسه انني عند ما نشأت نشأ معي حب المشاهدة والاطلاع وقد وعي في ذاكرته اسمى الافكار وخلق ارق العواطف ورسم بقلمه الساحر اجمل الصور واكب على مطالعة الكتب وكان لا يبر بفضل تلك المبادئ التي اجمع الناس على احترامها وتقديسها ، واكتسب من موظفين مدارون ومبشرة وتين ، وريبان ، مزيجاً من الاراء الصالبة ، واقتبس من والده حب الدين الجميلة والخيالات فيها ، وكتب اول مقالة ادبية عن الفريد دي فيني ، وتردد على مجالس (الباراسيين) ومشى حسب اساليبهم في تذوق الجمال الهيليني ، وفاق الثلاثين من عمره اصدر دراسته (القلائد المذهبة) واتمه بكتاب (اغراض الكورديين) حيث نقلت فيه روحه التي استمدت الشيء الكثير من روحان الكرمل دي لیل ، ثم اتحفنا بعد ذلك اسلوباً فذاً لا يعهده كتاب الجيلين السابع عشر والثامن عشر ووضع على الوالي رواية (جوكاست) ، وبلطازار ،

وجريدة سانفرانسيسكو كرونيكل ، وكتاب صديقي ، وتاريس ، ومطبعة الملكة بيدوك ، وآراء المسيو جيروم كوانيار ، والزنبقة الحمراء ، وزنبل الخيراتي ، وجزيرة البطريق ، وثورة الملائكة ، والحياة بين الازهار .

كانت لذكرى هذا الاستاذ الكبير وقتئذ موقع درس دقيق وقد تبوأ — في عصره تلك المكانة التي كانت لفولتير في الجيل الثامن عشر . ومما يلاحظ عليه لين اعنانه في النقل ، الذي تأثر في نادي الامير براوه داروين وسبنسر ، تلطف وتهذب . فاصبح صاحب السيرة يشك في كل شيء حتى في العلوم نفسها معتمداً على الحقائق التي قررها هو بذاته . وكان شغوفاً بشئون الحياة ، وقد غلب التهكم على كتابته ، وكان في بعض الاحيان يترك أملاءه ويشترك في بحث الآراء الاجتماعية

تربطنا بمسألة الناتول فرانس في قسم من مباحثها حياة المؤرخين وقول عنهم انهم رواة الاقاصيص وقلة حوادث القديسين ، وان التاريخ ناقص ، وان المؤرخين تقدموا الآخرين كما ان المجمعيين سبقوا الفلكيين وان الدجاجة جاءت قبل الكيلوبين وان الفرود نشأت قبل الانسان ، ونجد في كتاب آراء المسيو جيروم كوانيار ذلك الاستاذ يشرح تلاميذه حتى نورمانديا رأيه في التاريخ فيقول انه مجموعة اقاصيص ادبية ومزيج من الاحاديث وخطب لتناسب مع عقلية المؤرخ فتكون الفلسفة اذا كان فيلسوفاً تافهة والشاعرية اذا كان كاتباً مصيباً .

ان هذا الكاتب البارع من شأنه ان يمزج بين المعتقدات الصحيحة والاقاصيص الوثنية وحوادث المزيج فيعبث باطلاق الموضوعة الى ان تفقد قيمتها وتصير اشبه بالحكايات المتداولة وهو لا يرى حرجاً على ذلك اذا كان الامر متعلقاً بالاشياء فيما يتعلق بتاريخ الشرائع ، ويعتقد ان الهيئة الاجتماعية كانت مبنية على قواعد الشدة والعصب والتعلق والاضطهاد ، وان الناس كانوا يتفانون لاجل ترقية خلائقهم الخاصة . اما في رواية جزيرة البطريق ، فالطائفة التهم بالسخرية والمرارة ، فيقول لنا ان جميع

الغريزات الدنيوية قد نشأت صدفة وانها وليدة التشويش والاختلال ؛ وان الحياة عبارة عن تجدد مستمر ومساعي باطلة ترمي اما الى النزاع او الى التفاضل ويجد كتابه (الآلهة ظمأى) مفعماً بروح الثورة والانقاض على الفكرة التي يرجع حتمية والتأثر بضرورة الاعتماد على الفضيلة .

ثم نلتفت الى ابتسامة اناتول فرانس الحلوة وتأملنا شكوكه المستحبة لنجلي لنا منهما مذهبه الارتيابي وأكثر من ذلك يعطف على الانسانية ويتوجع لمصائب البشر ويقول لنا عن لسان بيرنوز بير : ان الآلام تهذب البشر اذ هي التي تغرز فيهم الميل الى الدروس الجليلة وتوحي اليهم الشعر وتجعلهم يتحلون بالفضائل وتثبت فيهم الشجاعة الممزوجة بالعطف . الآلام هي التي جعلت الحياة قيمة عندما رضيت بتضحيتها . الآلام الفريدة هي التي قضت باستمرار المحبة . ويسورد عن لسان جيروم كوانيار حديثاً يخاطب به تلميذه :

اعني سمعك يا ولدي لما اريد به لك الآن . واعلم ان الحقائق التي استجلاها العقل البشري ستظل عقيمة ، لان القلب وحده هو الذي استطاع ان يزيد في حب الحياة بتصوراته . فبث الحياة في كل ما يحبه ويرضاه . لقد ابحث بذور الخير في هذا العالم وادركت بواسطة العواطف اما العقل فكانت فضائله اقل من القليل . فاذا اراد الانسان خدمة اخيه الانسان يجب عليه طرح العقل جانباً والارتفاع الى احضان العواطف .

يجب علينا ان نعلم التفكير في سيئات مذهب ارتيابي عدم نفسه وتلاشى وسط التلاعب بالزعم الفارغة والاقوال الخادعة . بل يتحتم علينا تذوق اسلوب هذا الكاتب البليغ والتعاشر اروعا بالصور البديعة التي يرسمها هذا الساحر . ولنضع نصب اعيننا الحقائق التي تبقى بعد الشيء الجليل افضل من الطيب . واذا كان اناتول فرانس قد احزن العالم باحتقاره للعواطف . واذا كان قد فضل به فهزأ بالحب عليه

روح المسألة .

ان ذلك الرسام الذي ارانا جانب صحراء طيبة ، ومدخنات حديقة ابقراط ، واوقد بحماس نيران مطبخ الملكة بيدوك ، واحتفظ باراء حداثة « صديقي » واسمعنا صوت الحكمة بلسان برجربه ، قد صار ساعة وفاته من عداد كتاب فرنسا الكلاسكيين البلغاء .

اثاره الخطية : اعتنى المسيو مشيل كورداي الاديب الفرنساوي المعروف بجمع بعض آثار اناتول فرانس الخطية التي لم يسبق طبعها ولم يطلع عليها جمهور المتأدبين حتى اليوم . فجاءت مجموعته وريدة في بابها ومترعة بالفوائد ، وقد ارانا فيها كيف كان هذا الاستاذ الكبير دائباً على الدرس والكتابة والنسخ ، فخلف مئاطر اوراق كان يريد طبع بعضها في كتاب عنوانه (في ظل الوردة) بدأ بكتابته والاعتناء به قبل انتهاء الحرب العامة بقليل ، وهو موضوع يشكل محاورة ، لانه كان يحب ابداء نظرياته العلمية والفلسفية عن طريق الحوار .

وقد عثروا بين اوراقه على عناوين لكتب وروايات كان يستعد لتأليفها وهي : — الله ، الطبيعة ، ما وراء الطبيعة ، الحرب ، المستقبل ، اللغة اداة لمعرفة الحقيقة ، العفة ، الكنيسة ، الحب والموت ، محاورات عن الشيخوخة ، علم الفلك ، الحيات بين الازهار ويغلب على الظن انه لم يتم واحداً من هذه المؤلفات اللهم سوى كتاب ما وراء الطبيعة حيث تكلم فيه عن وجود الله .

ونقل لنا المسيو كورداي جزءاً من هذه الصفحات النفيسة وضمن مجموعته اراءه عن الشيخوخة .

ورءى لنا ايضاً ان هذا الرجل العجيب الذي لم يتم تباريح الحياة حتى بلوغه سن الثمانين ، كان عازماً على وضع مؤلفات اخرى منها رواية (سيكلوب) او جبار البشر ، وهي مجانية مفجعة يبحي بها حياة البشر على شكل روايتي ثورة الملائكة

وجزيرة الطريق .

وكان يود وضع رواية صغيرة عن نابليون يصف فيها فرار الامبراطور من جزيرة البا ونزوله في خليج سان جوان وذهابه الى مدينة باريس ، وقد اعد لها مائتي كتاب عن حياة نابليون في جزيرة البا ليأخذ عنها ما يدعم به روايته فأجل .

***

الشريعة — والنظام السياسي

الغالب ان الشريعة نشأت مع العقيدة الدينية . ولعلها في والدين فرعان من اصل واحد . فمنذ صار الناس يحتكون ، و يتعرضون بعضهم لبعض و يتنازعون صاروا يضطرون ان يعينوا المحلل والمحرم . يعزون ذلك الى ارادة الالهة واوامرها . فالشريعة قديمة ايضاً كقدمية الدين . ومنها تفرع نظام الحكم المنفذ لها . فالحكومة فرع من فروع الشريعة .

ثم تفرعت الشريعة الى النظام القضائي ، والنظام الاداري ، والنظام الشوري ؛ ومن هذه الانظمة تفرعت الانظمة السياسية التي لا يتعذر عليك ان تسلسلها الى آخر اطرافها . والنظام السياسي هو اهم الانظمة الاجتماعية في العصور الاخيرة . والشريعة الادبية انما هي فلسفة الشريعة المدنية ، وهي لها كالزهرة للشجرة . فلا تعد نظاماً قائماً بنفسه ، ولا فرعاً لنظام ، بل هي روح نظام .